

لقمان (ع) بين النبوة والحكمة



لقد اختلفوا في انّه كان نبياً أم لا، بل هو صاحب الحكمة الإلهية، وقيل إنّّه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة، ويقال إنّّه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل إنّّه عاش ألف سنة، وأدرك داود (ع) وأخذ عنه العلم، وقيل دخل عليه وهو يسرد الدروع، وقد ليّن الله تعالى له الحديد فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال داود (ع): بحق ما سميت حكيماً، كما في تفسير جوامع الجامع، وقد اختلف في معنى الحكمة المنسوبة إليه ففسرت بمعانٍ كثيرة، قال سبحانه: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (البقرة/ 269)، وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان/ 12)، فهل الحكمة هي العلم والعمل به، أو إنّها هي القرآن المجيد والفقهاء، أو العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، أو أنّها هي فهم المعاني والتمييز الكامل المانع من الجهل، أو هي طاعة الله تعالى ومعرفة إمام زمانه، لكل قائل، فنقول لا مانعة جمع بينها فالكل مراد ولا غرابة فهي موجودة عند شخص الإمام بلا ريب بل وعند كل معصوم في الجملة، نعم وللإختصاص في جهة كمال الخصوصية وتام الأهمية تأمل تفهم.

وفي مروج الذهب: لقمان الحكيم هو لقمان بن عنقاء بن مريد بن صاوون وكان ونوبياً مولى للقيين بن جسر، وُلد على عشر سنين من مُلك داود (ع)، وكان عبداً صالحاً فمنَّه عزٌّ وجلٌّ عليه بالحكمة، ولم يزل باقياً في الأرض مطهراً للحكمة والزهد في ذلك العالم إلى أيام يونس بن متى حينما أرسل إلى أرض نينوى من بلاد الموصل... إلخ. والمروي عن الصادق (ع) حينما سئل عن لقمان وحكمته قال: أما وإن ما أوتي الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسطة في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً في أمره متورعاً في إيمانه ساكتاً سكيناً عميق النظر طويل الفكر حديد النظر مستغن بالعبادة لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره وعمق نظره وتحفظه في أمره ولم يضحك من شيء قط ولم يمازح إنساناً قط ولم يفرح لشيء أتاه من أمر الدنيا ولا حزن منها على شيء فاته منها قط، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدّم أكثرهم أمامه فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما ولم يمرض عنهما حتى تحابا، ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنته إلا سأله عن تفسيره وعمن أخذه، وكان يُكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين، فكان يُرثي للقضاة مما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرّتهم بإعظام العظم وطمأنينتهم في ذلك، وكان يعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكير ويداوي نفسه بالعبادة، وكان لا يطعن إلا فيما يعنيه، فبذلك أوتي الحكمة ومُنح العصمة... إلخ. وقد ذكرنا من أنّه خير بين النبوة والحكمة وأنّه اختار الحكمة، وبعد اختياره الحكمة ونام ليلاً أنزل الله تعالى عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه وخرج على الناس وهو ينطق بالحكمة، كما نقل ذلك.

وعن الطبرسي، قيل: إنّه كان عبداً أسوداً حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين. وذكر أن مولاه دعاه فقال له: اذبح شاة وأتني بأطيب مضغتين منها، فأتاه بالقلب واللسان، فسأله عن ذلك، فقال له: انهما أطيب شيء إذا طابا وأخبت شيء إذا خبثا. وكان مما وعظ به ابنه أن قال له: يا بني أنك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدارت أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد، يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدنيا بلاغاً ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس، وصم صوماً يقطع شهوتك ولا تصم صياماً يمنعك من الصلاة فإن الصلاة أحب إلى من الصيام، يا بني إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالمٌ كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان واجعل شراعها التوكل واجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك، يا بني إن تأديت صغيراً انتفعت به كبيراً، يا بني خف الله خوفاً لو أتته يوم القيامة ببر الثقلين خفت إن يعذبك وأرج الله رجاء لو وافيته يوم القيامة بذنوب الثقلين رجوت إن يغفر لك، فقال له ابنه: يا أبت وكيف أطيق هذا وإنّما لي قلب واحد، فقال له: يا بني لو استخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران: نور للخوف ونور للرجاء، لو وزنا ما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرة، يا بني لا تركز إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها، إلا ترى أنّّه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلائها

عقوبة للعاصين، وقال له: يا بني إني حملت الجنـدل والحديد وكل حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أـمرّ من الفقر، يا بني اتّخذ ألف صديق وألف قليل ولا تأخذ عدواً واحداً والواحد كثير. ولقد قيل له: أـلست كنت ترعى الغنم معنا فمن أين أوتيت الحكمة، فقال: أداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني.

وروي أنّـه قدم من سفر طويل فلقي غلامه في الطريق فسأله عن أبيه، فقال له: مات، فقال: ملكـت أمرى، وقال له: ما فعلت أمـراتى؟ فقال له: ماتت، قال: تجدد فراشي، فقال له: ما فعلت أختى؟ قال: ماتت، فقال: سترت عورتى، فقال له: ما فعل أخي؟ قال له: مات، قال: الآن انقطع ظهري. ومن كلام له يوصي به ابنه: اعلم أنك ستسئل غداً إذا وقفت بين يديّ عزّ وجل عن أربع شبابك فيما ابليته وعمرك فيما أفنيته ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقتـه فتأهب لذلك وأعد له جواباً. وقال له: يا بني تعلمت سبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها أربعة وسر معي إلى الجنة: احكم سفينتك فإن بحرك عميق، وخفف حملك فإنّ العقبة كؤود، واكثر الزاد فإنّ السفر بعيد، واخلص العمل فإنّ الناقد بصير، وهل يسعنا ذكر كل ما ورد من ذلك وأثر عنه من الحكم والنصائح؟ كلا، وقد تركنا الأكثر مما عثرنا عليه ووصل إلينا وباّ التوفيق وله جميل الثناء.

المصدر: كتاب الأنبياء حياتهم.. قصص